الصباح الإسلامية
09
العدد 2154 - السنة الثامنة
الثلاثاء 16 رجب 1436 - الموافق 5 مايو 2015
Tuesday 5 May 2015 - No.2154 - 8th Year

من كنوز مواعظ ابن الجوزي

دموع الخشية تمحو الخطايا .. والندم واجب على صاحب الذنب

الحكمة منحة ربانية جليلة يؤتيها من يشاء «ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وقد زخر التاريخ الاسلامي برجال من الله تعالى عليهم بان اجرى الحكمة على السنتهم ونطقت بها شفاههم متاسين في كلامهم بسيد الحكماء محمد صلى الله عليه وسلم، ومن هؤلاء الحكماء العالم الرباني ابن الجوزي يرحمه الله، وهذه جملة من الحكم والمواعظ التي اثرت عن هذا الحكيم تفعنا الله واياكم بها:

الذنوب تغطي على القلوب، فاذا اظلمت مراة القلب لم يبن فيها وجه الهدى، ومن علم ضرر الذنب استشعر الندم.

يا صاحب الخطايا.. اين الدموع الجارية، يا اسير المعاصي ابك على الذنوب الماضية، اسفا لك.. اذا جاءك الموت وما اثبت، واحسرة لك اذا دُعيت الى التوبة فما اجبت، كيف تصنع اذا نُودي بالرحيل وما تاهبت، الست الذي بارزت بالكبائر وما راقبت؟

اسفا لعبدكلما كثرت اوزاره قلّ استغفاره، وكلما قرب من القبور قوي عنده الفتور.

اذكر اسم من اذا اطعته اقادك.. واذا اتيته شاكرا زادك.. واذا خدمته اصلح قلبك وفؤادك ايها الغافل ما عندك خير منك! فما تعرف من نفسك الا ان تجوع فتاكل، وتشبع فتنام، وتغضب فتخاصم، فبم تميزت عن البهائم!

واعجبا لك! لو رأيت خطا مستحسنا لرقم لادركك الدهش من حكمة الكاتب، وانت ترى رقوم القدرة ولا تعرف الصانع، فان لم تعرفه بتلك الصنعة فتعجب، كيف اعمى بصيرتك مع رؤية بصرك!

يا من قد وهى شبابه، وامتلأ بالزلل كتابه.. اما بلغك ان الجلود اذا استشهدت نطقت! اما علمت ان النار للعصاة خلقت! انها لتحرق كل ما يُلقى فيها، فتذكر ان التوبة تحجب عنها، والدمعة تطفئها.

سلوا القبور عن سكانها، واستخبروا اللحود عن قطانها، تخبركم بخشونة المضاجع، وتعلمكم ان الحسرة قد ملات المواضع، والمسافر يود لو انه راجع، فليتعظ الغافل وليراجع.

يا مُطالبا باعماله، يا مسؤولاً عن افعاله، يا مكتوباً عليه جميع اقواله، يا مناقشاً على كل احواله، نسيانك لهذا امر عجيب!

ان مواعظ القرآن تذيب الحديد، وللقهوم كل لحظة زجر جديد، وللقلوب النيرة كل يوم به وعيد، غير ان الغافل يتلوه ولا يستفيد كان بشر الحافي طويل السهر يقول: اخاف ان ياتي امر الله وانا نائم من تصور زوال المحن وبقاء الثناء هان الابتلاء عليه، ومن تفكر في زوال اللذات وبقاء العار هان تركها عنده،و ما يُلاحظ العواقب الا بصر ثاقب.

عجباً لمُؤثر الفانية على الباقية، ولبائع البحر الخضم بساقية، ولمختار دار الكدر على الصافية، ولمقدم حب الامراض على العافية.

قدم على محمد بن واسع ابن عم له فقال له: من اين اقبلت؟.. قال: من طلب الدنيا، فقال: هل ادركتها؟ قال لا، فقال: واعجبا! انت تطلب شيئا لم تدركه، فكيف تدرك شيئا لم تطلبه.

يُجمع الناس كلهم في صعيد، ويتاسفون الى شقي وسعيد، فقوم قد حل بهم الوعيد، وقوم قيامتهم نزهة وعيد، وكل عامل يغترف من مشربه.

كم نظرة تحلو في العاجلة، مرارتها لا تُطاق في الآخرة، يا ابن ادم قلبك قلب ضعيف، ورايك في اطلاق الطرف رأي سخيف،فكم نظرة محتقرة زلت بها الأقدام يا طفل الهوى! متى يؤنس منك رشد، عينك مطلقة في الحرام، ولسانك مهمل في الآثام، وجسدك يتعب في كسب الحطام.

اين ندمك على ذنوبك؟ اين حسرتك على عيوبك؟ الى متى تؤذي بالذنب نفسك، وتضيع يومك تضييعك امسك، لا مع الصادقين لك قدم، ولا مع التائبين لك ندم، هلا بسطت في الدجى يدا سائلة، واجريت في السحر دموعا سائلة.

تحب اولادك طبعا فاحبب والديك شرعا، وارع اصلا اثمر فرعا، واذكر لطفهما بك وطيب المرعى اولا واخيرا، فتصدق عنهما ان كانا ميتين، واستغفر لهما واقض عنهما الدين من لك اذا الم الالم وسكن الصوت وتمكن الندم ووقع الفوت واقبل لاخذ الروح ملك الموت ونزلت منزلا ليس بمسكون؟ فيا اسفا لك كيف تكون واهوال القبر لا تطاق؟

كان القلوب ليست منا، وكان الحديث يُعنى به غيرنا، كم من وعيد يخرق الآذان.. كانما يُعنى به سوانا.. اصمّنا الاهمال بل اعمانا.

يا ابن ادم فرح الخطيئة اليوم قليل، وحزنها في غد طويل، ما دام المؤمن في نور التقوى، فهو يبصر طريق الهدى، فاذا اطبق ظلام الهوى عدم النور انتبه الحسن ليلة فبكى، فضج اهل الدار بالبكاء فسالوه عن حاله فقال: ذكرت دنيا فبكيت! يا مريض الذنوب ما لك دواء كالبكاء يا من عمله بالنفاق مغشوش، تتزين للناس كما يُزين المنقوش، انما يُنظر الى الباطن لا الى النقوش، فاذا هممت بالمعاصي فاذكر يوم النعوش، وكيف تُحمل الى قبر بالجندل مفروش.

الك عمل اذا وضع في الميزان زان؟ عملك قشر لا لب، واللب يثقل الكفة لا القشر رحم الله اعظما" نصبت في الطاعة وانتصبت، جن عليها الليل فلما تمكن وثبت، وكلما تذكرت جهنم رهبت وهربت، وكلما تذكرت ذنوبها ناحت عليها وندبت.

يا هذا لا نوم أثقل من الغفلة، ولا رق املك من الشهوة، ولا مصيبة كموت القلب، ولا نذير ابلغ من الشيب الى كم اعمالك كلها قباح، اين الجد الى كم مزاح، كثر الفساد فاين الصلاح، ستفارق الأرواح الأجساد اما في غدو واما في رواح، وسيخلو البلى بالوجوه الصباح، اقي هذا شك ام الأمر مزاح.

قليلجا العاصي الى حرم الانابة، وليطرق بالأسحار باب الاجابة، فما صدق صادق فَرّد، ولا اتى الباب مخلص فصُد، وكيف يُرد من استدعي؟ وانما الشان في صدق التوبة.

الأيام مطايا بيدها ازمة ركبانها، تنزل بهم حيث شاءت، فبينا هم على غوار بها القتهم فوطئتهم بمناسمها.

النظر النظر الى العواقب، فان اللبيب لها يراقب، اين تعب من صام الهو جر؟ واين لذة العاصي الفاجر؟ فكأن لم يتعب من صابر اللذات، وكان لم يلتذ من نال الشهوات.

جبلت القلوب على حب من أحسن اليها، فواعجبا ممن لم ير محسناً سوى الله عز وجل كيف لا يميل بكليته اليه احذر نقار النعم فما كل شارد بمردود، اذا وصلت اليك أطرافها فلا تنفر أقصاها بقلة لشكر.

يا هذا.. ماء العين في الارض حياة الزرع، وماء العين على الخد حياة القلب.

يا طالب الجنة.. بذنب واحد أُخرج ابوك منها، أتطمع في دخولها بذنوب لم تتب عنها؟ ان امراً تنقضي بالجهل ساعاته، وتذهب بالمعاصي اوقاته، لخليق ان تجري دائما دموعه، وحقيق ان يقل في الدجى هجوعه.

اعقل الناس محسن خائف، واحمق الناس مسيء آمن.

لا يطمعن البطال في منازل الأبطال، ان لذة الراحة لا تنال بالراحة، من زرع حصد ومن جد وجد، فالمال لا يحصل الا بالتعب، والعلم لا يُدرك الا بالنصب، واسم الجواد لا يناله بخيل، ولقب الشجاع لا يحصل الا بعد تعب طويل.

كاتبوا بالدموع فجاءهم الطف جواب، اجتمعت أحزان السر على القلب فاوقد حوله الأسف وكان الدمع صاحب الخبر فنم.

كيف يفرح بالدنيا من يومه يهدم شهره، وشهره يهدم سنته، وسنته تهدم عمره، كيف يلهو من يقوده عمره الى اجله، وحياته على موته.

الدنيا في ادبار، واهلها منها في استكثار، والزارع فيها غير النقي لا يحصد الا الندم والعار.

ويحك! انت في القبر محصور الى أن ينفخ في الصور، ثم راكب أو مجرور، حزين أو مسرور، مطلق أو مأسور، فما هذا اللهو والغرور!

بأي عين تراني يا من بارزني وعصاني، باي وجه تلقاني، يا من نسي عظمة شاني، خاب المحجوبون عني، وهلك المبعدون مني.

يا هذا زاحم باجتهادك المتقين، وسر في سرب أهل اليقين، هل القوم الا رجال طرقوا باب التوفيق ففتح لهم.

ألا رُب فرح بما يؤتى قد خرج اسمه مع الموتى، ألا رُب معرض عن سبيل رشده، قد آن اوان شق لحده، ألا رُب ساع في جمع حطامه، قد دنا تشتيت عظامه، ألا رُب مُجد في تحصيل لذاته، قد آن خراب ذاته يا مضيعا اليوم تضييعه امس، تيقظ ويحك فقد قتلت النفس، وتنبه للسعود فالي كم نحس،و احفظ بقية العمر، فقد بعت الماضي بالبخس.

عينك مطلقة في الحرام، ولسانك منبسط في الآثام، ولأقدامك على الذنوب اقدام، والكل مثبت في الديوان.

كانوا يتقون الشرك والمعاصي، ويجتمعون على الأمر بالخير والتواصي، ويحذرون يوم الأخذ بالأقدام والنواصي، فاجتهد في لحاقهم ايها العاصي، قبل ان تبغتك المنون.

اذبلوا الشفاه يطلبون الشفاء بالصيام، وانصبوا لما انتصبوا الأجساد يخافون المعاد بالقيام، وحفظوا الألسنة عما لا يعني عن فضول الكلام، وأناخوا على باب الرجا في الدجى اذا سجى الظلام، فانشبوا مخالب طمعهم في العفو، فاذا الأظافر ظافرة.

يا مقيمين سترحلون، يا غافلين عن الرحيل ستظعنون، يا مستقرين ما تتركون، أراكم متوطنين تامنون المنون وعظ اعرابي ابنه فقال: اي بني انه من خاف الموت بادر الفوت، ومن لم يكبح نفسه عن الشهوات أسرعت به التبعات، والجنة والنار امامك.

ان النفس اذا أطمعت طمعت، واذا أقنعت باليسير قنعت،فاذا اردت صلاحها فاحبس لسانها عن فضول كلامها، وغض طرفها عن محرم نظرانها، وكف كفها عن مؤذي شهواتها، ان شئت ان تسعى لها في نجاتها.

علامة الاستدراج: العمى عن عيوب النفس، ما ملكها عبدالا عز، وما ملكت عبدا الا ذل.

ميزان العدل يوم القيامة تبين فيه الذرة، فيجزى العبدعلى الكلمة قالها في الخير، والنظرة نظرها في الشر، فيا من زاده من الخير طفيف، احذر ميزان عدل لا يحيف.

سمع سليمان بن عبدالملك صوت الرعد فانزعج، فقال له عمر بن عبدالعزيز: يا امير المؤمنين هذا صوت رحمته فكيف بصوت عذابه؟

يا من اجدبت ارض قلبه، متى تهب ريح المواعظ فتثير سحابا، فيه رعود وتخويف، وبروق وخشية، فتقع قطرة على صخرة القلب فيتروى ويُنبت.

قال بعض السلف: اذا نطقت فاذكر من يسمع، واذا نظرت فاذكر من يرى، واذا عزمت فاذكر من يعلم.

قال سفيان الثوري يوماً لأصحابه: اخبروني لو كان معكم من يرفع الحديث الى السلطان أكنتم تتكلمون بشيء؟قالوا: لا، قال، فان معكم من يرفع الحديث الى الله عز وجل.

كلامك مكتوب، وقولك محسوب، وانت يا هذا مطلوب، ولك ذنوب وما تتوب، وشمس الحياة قد أخذت في الغروب فما أقسى قلبك من بين القلوب.

علامات الساعة الكبرى والصغرى (2)

يأجوج ومأجوج وخروج الدخان والنفخ في الصور

خروج يأجوج ومأجوج

فيهرب المسلمون إلى رؤوس الجبال، ويخرج ياجوج وماجوج لا يتركون أخضر ولا يابسا، بل ياتون على بحيرة فيشربونها عن اخرها (تجف)، حتى ياتي اخرهم فيقول: قد كان في هذه ماء. طبعامكث عيسى في الأرض كان لسبع سنين، كل هذه الاحداث تحدث في سبع سنين، عيسى الآن من المؤمنين على الجبال يدعون الله جل وعلا، ويأجوج وماجوج يعيثون بالارض مفسدين وظنوا انهم قد قتلوا وقضوا على جميع اهل الارض، ويقولون نريد ان نقتل ونقضي على اهل السماء، فيرمون سهامهم إلى السماء، فيذهب السهم ويرجع بالدم فيظنون انهم قتلوا اهل السماء «يخادعون الله وهو خادعهم».

نهاية يأجوج وماجوج وموت عيسى عليه السلام

بعد ان يئسوا بمقتهم ويدعو عيسى بن مريم والمؤمنين الصادقين، يرسل الله عز وجل على يأجوج وماجوج دودة اسمها النغف يقتلهم كلهم كقتل نفس واحدة.

فيرسل عيسى بن مريم رجلا من خير الناس لينزل من الجبل ليرى ما حدث على الارض، فينظر ويرجع ببشر عيسى ومن معه انهم قد ماتوا واهلكهم الله. فينزل عيسى والمؤمنون إلى الأرض مستبشرين بقتل يأجوج وماجوج وعندها يدعو عيسى ربه بان يتجيه ويخلصه لانهم قد انتنوا الأرض كلها، فتاتي طيور عظيمة فتحمل هذه الجثث، وينزل المطر فيغسل الأرض. ثم تنبت الأرض ويحكم عيسى بن مريم حكمه العادل في الأرض، فتنبت الأرض وتكثر الخيرات، ثم يموت عيسى بن مريم.

خروج الدابة بعد هذه الاحداث، تبدا احداث غريبة، يسمع الناس فجاة ان هناك دابة خرجت في مكة، حيوان يخرج في مكة. هذا الحيوان يتكلم كالبشر، لا يتعرض له أحد. فإذا رأى إنسان وعظه، وإذا راى كافر، ختم على جبينه انه كافر، وإذا رأى مؤمنا ختم على جبينه أنه مؤمن ولن يستطيع تغيره. يتزامن خروج الدابة، ربما في نفس يوم خروجها، يحدث امر اخر في الكون، وهو طلوع الشمس من مغربها حيث يقفل باب التوبة نهائيا، لا ينفع استغفار ولا توبة في ذلك اليوم. تطلع الشمس لمدة ثلاثة أيام من المغرب ثم ترجع مرة أخرى، ولا تنتهي الدنيا غير ان باب التوبة قد أغلق.

الدخان

وبعدها يحدث حدث اخر، فيرى الناس السماء كلها قد امتلات بالدخان، الأرض كلها تغطى بدخان يحجبهم عن الشمس وعن الكواكب وعن السماء. فيبدا الناس (الضالون) بالبكاء والاستغفار والدعاء، لكن لا ينفعهم.

حدوث الخسوف

يحدث ثلاثة خسوف، خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب. خسف عظيم، يبتلع الناس. في تلك الأيام تخرج ريح طيبة من قبل اليمن تنتشر في الأرض وتقبض روح كل مؤمن على وجه الأرض.

تقبض روحهم كالزكامة (مثل العطسة)، فلا يبقى بالأرض إلى شرار الناس، فلا يوجد مسجد ولا مصحف، حتى ان الكعبة ستهدم قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «كاني أراه يهدم الكعبة بالفاس»، فلا يحج إلى بيت الله وترفع المصاحف، حتى حرم المدينة المنورة، ياتيه زمان لا يمر عليه إلا السباع والكلاب، حتى ان الرجل يمر عليه فيقول، قد كان هنا حاضر من المسلمين.

في ذلك الوقت لا يبقى بالأرض إلا الكفار والفجار، لا يقال بالأرض كلمة الله، حتى ان بعض الناس يقولون كنا نسمع آجدادنا يقولون لا إله إلا الله، لا يعرفون معناها. انتهى الذكر والعبادة، فيتهارجون تهارج الحمر، لا يوجد عدالة ولا صدق ولا أمانه، الناس ياكل بعضهم بعضا ويجتمع شياطين الإنس والجن.

خروج نار من جهة اليمن

في ذلك الوقت تخرج نار من جهة اليمن، تبدا بحشر الناس كلهم، والناس تهرب على الإبل، الاربعة على بعير واحد، يتناوبون عليها، يهرب الناس من هذه النار حتى يتجمعوا كلهم في الشام على أرض واحدة.

النفخ في الصور

فإذا تجمع الناس على هذه الأرض، اذن الله عز وجل لنافخ الصور ان ينفخ النفخة الأولى فإن الساعة قد قامت. عندها كل الخلق يموتون، البشر والحيوانات والطيور والحشرات والجن وكل مخلوق في الأرض والسماء إلا من شاء الله. وبين النفخة الأولى والثانية اربعون لا يدرى اربعون ماذا؟ يوم، اسبوع، شهر؟ في خلال هذه الأربعين ينزل مطر شديد من السماء، واجساد الناس من آدم إلى ان انتهت الأرض تبدا تنبت وتتكون، فإذا اكتملت الأجساد، امر الله نافخ الصور ان ينفخ ليرى الناس اهوال القيامة.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من دعا إلى هدى، كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا، ومن دعا إلى ضلالة، كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص من اثامهم شيئا».

شبهات وردود من القرآن

كثير من الشبهات تنطلق على السنة الناس وخاصة النساء اللاتي غاب عنهن العلم بكتاب الله تعالى والفقه في الدين وبنظرة بسيطة سنورد بعض الشبهات وكيف فندها القرآن الكريم بكلمات مختصرة قليلة المبنى عظيمة الاثر والمعنى، وعلى سبيل المثال لا الحصر: انك تسمع من تقول: «انا احب الله وهذا يكفي» نقول لها: «قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله».

وهناك من تقول: ان الدين يسر

نقول لها: «يريد الله بكم اليسر».. ولقد امر الله بالحجاب للتيسير

وتقول: ان التبرج امر هين، ونقول: «وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم».

وتقول:انني صغيرة وسوف احتجب عندما اكبر، ونقول لها: ان الموت لا يعرف صغيرا ولا كبيرا.

وهناك من تقول سوف احتجب بعد الزواج، ونقول: قال النبي صلى الله عليه وسلم « ان العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه».. فقد يحرمك الله من الزواج.

وتقول: زوجي لا يرضى الحجاب، ونقول: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق».

وهناك من تقول: احتجب عندما اقتنع بالحجاب، ونقول: «ما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم».

وتقول: ان الحجاب يعوق عن العمل، ونقول: رضا الله وجنته اغلى من كل شيء.

وتقول: لا اطيق الحجاب في الصيف والحر، ونقول: «قل نار جهنم اشد حرا».

وتقول: ان طهارة القلب تغني عن الحجاب، ونقول: لو طهر القلب لاستقامت الجوارح....فقد قال صلى الله عليه وسلم: «ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب».